

صفحات من مذكرات احمد الحسني البغدادي في مواجهة الدين الآخر تنشر لأول مرة جواد الخالسي "الرهينة" و"الضحية"

١- نقطة بداية

س: بعد انتهاء كلمتك في المؤتمر القومي العربي المنعقد في الجزائر في السادس من نيسان ٢٠٠٥م، ما الذي حصل بينك وبين الشيخ جواد الخالسي بعد ذلك، أي: بعد إنتهاء كلمتك المثيرة للجدل؟!..

ج: نعم.. بعد هذا الخطاب، بينما كنتُ أجلسُ في صالة الفندق مع بعض الأخوة، قصدني الشيخ جواد الخالسي «الأمين العام» للمؤتمر التأسيسي العراقي الوطني، وخاطبني بلا مقدماتٍ قائلاً: خَفَّف - يا أبا محمَّد - من أحاديثك «المتطرفة»، والأحرى بك أن تتبنى: «السياسة الوسطية التوفيقية» وأني لك من الناصحين!.. فقلت: هل صدرت مني مخالفة شرعية أو وطنية في ذلك؟!..

لا.. ولكن أقول لك:

أولاً: الأخوة الفلسطينيون «يستهبزون» بأحاديثك المتكررة من قبيل تصريحاتك الأخيرة في الصحافة الجزائرية بأن: «البندقية المقاتلة هي الطريق الوحيد لتحرير فلسطين كُلّ فلسطين» ويقولون نسي إتفاقية أوسلوا الفلسطينية - «الإسرائيلية»، التي أقرتها بالإجماع منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعيّ الوحيد للشعب الفلسطيني.

ثانياً: تقول: «كُلّ مَنْ إنخرط في العملية السياسيّة الجارية في العراق جواسيس وعملاء بلا إستثناء» في الوقت الذي إشتراك البعض في الانتخابات التشريعية بـ «قناعات وطنية».

ثالثاً: أنت من نعومة أظفرك إسلاميّ التوجه ظاهراً وباطناً، فيما بدأت تتكلم في أحاديثك باسم العروبة!.. (١) و«العروبة في دار البوار»، كما وصفها الإمام الخالسي (يقصد المرحوم والده).

ورابعاً: «شويه على كيفك لا تروح زايد مع خوالنه» - يقصد الإيرانيين الفرس أقرباء والدته المرحومة!.

تَعَجَّبْتُ العجب كله من هذا الاستفزاز، حاولت رده ببرود - بعد أن عرفتُ من كُلِّ هذه المَقْدِمة أنَّ بيت القصيد هو الدفاع عن الإيرانيين ماذا تنتظر مني يا ابا زينب!!... أخوالك يستبيحون دماء شعبي واهلي الاماجد عن طريق القتل الاميركان الفاقدين العواصم الخمس المشهورة بشهادة خاتمي رئيس جمهورية إيران ومستشاره أبطحي وهما يصرَّحان بوقاحةٍ : «لولا نا لم تسقط «كابل» و «بغداد» على يد الاميركان بهذه السرعة الخاطفة» كأنما دماء هؤلاء وأولئك رجسٌ من عمل الشيطان الرجيم، وأنت تدافع عنهم... أسفاً يا ابا زينب!! أين «عروبتك» واسلامك المحمّدي الاصيل؟... لم ينبس ببنت شفه، ونهض من الجلسة دون تعليق...، غير أنني أشكوه عند الله الواحد الأحد وكفى.

٢ - تأمر مدروس لتقويض المؤتمر التأسيسي

س: يتداول البعض انباءً تقول إنَّ تحرك الخالصي مع شخصك الكريم ليس «عفوياً»، بل كان للسلطتين الحاكميتين في طهران والرياض دور في تحريكه؟..

ج: لأبْدُ أن اكشف مسألة في غاية الخطورة لأبينها بوضوح، وأعيد سردها من البداية الى النهاية، حتّى أُبريء ذمتي أنني قد كشفت طريقي ومنهجي أنني أوّمن بتحقيق الجبهة الوطنية والإسلامية العراقية، فلستُ على إستعدادٍ أن أعيشَ الشخصية والفرديّة، ولستُ على إستعدادٍ أن أَرْضَى بدكتاتورية الحزب القائد، ولستُ على إستعدادٍ أن أعيشَ إلا حراً بلا إحتلال، وبلا تبعية.

من هنا.. أتناول المؤتمر التأسيسيّ العراقيّ، و«أمينه العام» الخالصي، وموضوع علاقته بالإيرانيين حصراً، ولا أتصور أن أحداً تناول هذا الموضوع مفصلاً، بل إشارات عابرة، فالبعض من الأخوة في الأمانة العامة أقرّوا بوجود مثل هذه العلاقة، وحاولوا تبريرها بما ينسب إلى المخابرات الإيرانية سعيها الدائب للاتصال بالمؤتمر التأسيسي باعتبارها «قوة سياسية شعبية مؤثرة» في الساحة العراقية.. والبعض الآخر يرى أنّ هذه الاتصالات كانت تتم في الخفاء، بعيداً عن أعين أعضاء المؤتمر وكوادره!..

ومهما يكن من أمر هذه التكهّنات، فإنَّ وجهة نظري، التي أستخلصها من خلال معاشتي أمينه العام معاشة ميدانية، ومن خلال إعتراقاته لي شخصياً كنا نحضر سويةً جلسات أعمال المؤتمر القوميّ - الإسلاميّ عام ٢٠٠٥، وحين غادرنا بيروت عن طريق البر، متوجهين الى دمشق.. قال لي:

«من خلال السفير الإيراني في لبنان، وجهتُ الى الأمانة العامة دعوة رسمية من مُرشد «الثورة» الإسلامية الإيرانية وسأغادر إلى طهران مساءً إن شاء الله تعالى».

و أردف يقول: «وقد أكد لي السفير الإيراني إنَّ حضرة السيّد القائد سوف يدعم مؤتمرهم مادياً ومعنوياً، وإذا تحققت هذه الوعود سوف نفتح - يا أبا محمّد - مكاتب في معظم العواصم العربيّة والأجنبيّة».

ثمّ واصل حديثه ليؤكد لي: «أرجو ألاّ يطلّع أحدٌ من أعضاء الأمانة العامة على هذا الأمر، وسيكون سفري في غاية السرية».

غضبت في سرّي لأنّي أحبّه، لكنني فوجئتُ بحديث غير سياسي وغير حركي فقاطعته: يا أبا زينب لا يعلم أحدٌ من أعضاء الأمانة العامة ونحن في بداية عملنا الحركي الجبهوي؟ لا يمكن بحال أن نفتعل أزمة ثقة وأزمة تعاط فيما بيننا!! ونحن نتبنى المشروع الوطني العراقيّ، وحرّيّ بك أن تصطحب معك بعضاً منهم، وأنا بدوري أتوجه الى القاهرة للإجتماع مع عمرو موسى أمين عام الجامعة العربيّة، وإلا فإنّ هذا المؤتمر الذي نبني عليه تحقيق آمال أبناء الأمة وطموحاتهم سوف ينهار لامحالة.

٣ - ظواهر ونتائج وجهل في السياسة والانضباط

ومهما يكن من أمر هذا كلّهُ.. فقد إجتمع الخالصي بالخامنئي ولم يقدم محضراً حول ماجرى من أحاديث إلى أعضاء الأمانة العامة!.. من هنا اكتشفت بمرارة شديدة أن أبا زينب جاهلٌ في السياسة والانضباط الحركي، بل أشبه بالأمي.. وبحكم علاقتي الأخوية المبنية على الصراحة والمودة كُلفني بعض من أعضاء الأمانة العامة وفي مقدمتهم عصام شيت عايد الجبوري الأمين العام لحزب الإصلاح والعدالة الديمقراطي، فوجب عليّ أن أقوم بالمهمة الملقاة على عاتقي، وهذا هو المَعوّل عليه، لكي أمارس تأثيري عليه، أو لكي أشارك رفاقي في بناء المؤتمر التأسيسي وتطويره بصورة محكمة، مُثمرة وفاعلة الى أبعد الحدود، ولايتعارض مع أن أستوضح الأمر، وحاولتُ أن أستجلي حقيقة الأمر منه، وكنتُ أمني النفس بالوصول الى الحقيقة، فماذا وجدتُ؟.. وجدتُ منه عنفاً وإصراراً من خلال مقولته الصارمة:

«يجب أن يُغلّق هذا الملف، وإلا سنُهدّم بيوتنا على رؤوسنا!..».

وكُلّمًا حاولت أن أستوضح السرّ لا أجد إلا هروباً، ولا أجد إلا مراوغة... لم يذكر لي دليلاً واحداً، ولم يشفِ ظمأي بواقعة واحدة، أو حجة محددة.. اللهم إلا تكرار عبارة:

«يجب أن يُغلّق هذا الملف وإلا سنُهدّم بيوتنا على رؤوسنا!..»

هذا ما حدث بعد أن رأيتُهُ يتشبث بموقفه، ولايتزحزح عن قناعته، لأنّ ما ينطوي عليه عقله، بوعي أو دون وعي هو تشبته بالشخصانية والأسريّة المشجوبة إسلامياً... ذكرته بتساؤلات عقلانية وموضوعية لايمكن الاجابة عليها بحال من الأحوال:

لماذا تُهدم بيوتنا على رؤوسنا؟ اذا كُنْتَ يا شيخُ تخشى الأخوة المسؤولين السوريين، فهذا غير معقول، بل هو انتصار عظيم لنا، فهذا حزب الله في لبنان، وهذه حركة حماس، وحركة الجهاد الإسلامي تدعمهم «إيران الثورة» اقتصادياً وعسكرياً ولوجستياً، و لا تُهدم مكاتبهم، ولا بيوتهم على رؤوسهم، بل يقدرهم الأخوة السوريون الأشقاء!! غاية التقدير والاحترام!..

تُرى يا شيخُ: بماذا أفسر هذا الموقفُ الغريب العجيب المتناقض الذي صَدَرَ مِنْكَ لأعضاء الأمانة العامة؟!..

هل تظنُّ أنَّ المؤتمرَ يبقى متماسكاً متراسماً والأمين العام يلتقي مع «المُرشد»، دون أن يُقدِّم محضراً بما جرى من حديث؟!..

وهل تعتبر أنَّ ملف العمل بينك وبينهم قد أُغلق، وهل يسكت عنك هؤلاء، وإيران تتدخل بشكلٍ مفضوحٍ في شؤون العراق الداخلية، وتُساند المكوّنات الطائفية الموالية لها؟!..

في ضوء ذلك كُلِّه، أود أن أسألك السؤال الأخير: كيف واجهت عادل رؤوف كمؤسس لهذا المشروع الوطني حين سألك: إنَّ هناك لغطاً حاصلًا بين أعضاء الأمانة العامة حول سفرك الى طهران، ولقائك بالخامنئي.. فأجبتُه بهدوء: إني خاطبتُ الخامنئي بقولي إني لم أطلب منكم دعماً إقتصادياً قبل أن تحتل أميركا العراق.. واليوم أطلبكم بدعم مؤتمرنا ومساندته.. فقاطعني بالرفض لأسباب لايمكن فهمها يا أبا فداء، وأنساني الشيطان أن أسأله عن الأسباب والمسببات، بيّد أنه ساعدني في بناء «المدرسة» الخالصة، ودعم الجامعة!!..

حينما إنتهيتُ من هذه التساؤلات المشروعة تركتهُ أضرب كفاً بكف، يتقطع فؤادي حسرةً على المصير الذي صار اليه «الأمين العام» خلافاً لمواقف حركات التحرر الإسلامية والعالمية!..

يتضح لمن يتابع هذا السيناريو، أن في الأمر سرّاً دفيناً، فالغموض يكتنف الخالصي من كلِّ جوانبه. وقديماً قيل: «الملك عقيم». ويقال: «السياسة لاقلب لها»، وهذا ما ألاحظُهُ بالتجربة الميدانية... فالسياسي لا يكثرث بالانبياء والاصياء بل يسعى جهده لإزاحة كلِّ من يقف حجر عثرة في طريقه الى المناصب والمغانم!..

٤ - ازدواجية خطاب المصالحة تسويق فاشل

س: عرفنا أخيراً سبب النزاع بينك وبين الخالصي!.. إذن من حقنا أن نسأل: هل ندم على ما فعلته في حق سماحتك؟!..

ج: نعم..ندم «صديقي» القديم، وحاول طي هذا الملف بكلّ وسيلة متاحة دون أن يفلح، وبالتالي أُضطر إلى أن يبعثَ وفداً من العراق برئاسة الأخ أبو معمر سامي أحمد العاملي الأمين العام للمنتدى الفكري «الموحدون»، بذل كل جهد ممكن لإقناعي بفتح صفحةٍ جديدةٍ مع الخالصي، فسألته، وهو يحبني جداً: هل هذا توجيه أم تطوع بالنفاق؟ فضحك.. وقلتُ له: طيب لا مشكّلة في ذلك.. هل أنا من بدأ بالظلم والعدوان؟!.. إن أردتم الجواب فدونكم هو فأسألوه:

كيف حاد عن جبهة القوى العراقية المناهضة والمقاومة للاحتلال؟!..(٢)

وكيف خرج عن الاجماع الجبهوي المنشود؟!..

أليس هو من يعلم علم اليقين أنّ هذا المشروع يتطلب صبراً مُضنياً، وتفاعلاً وتجسيداَ للافكار التي تُطرح على طاولة الحوار بينهما، شرط استمراره إذ أنّ الاستمرارية تؤكدُ قناعة الاطراف المتحاوره حول تأسيس الجبهة وحسن نيتها، وإن اختلفت وتصاعدت أصوات المتحاورين الى أعالي السماء؟!..

ألم يعلم علم اليقين أنّ الاختلاف ضمن إطار الحوار قد ينتج أخطاءً في الآليات والتفاصيل، وهذه مسألة مقبولة، لكنّها تتحول الى خطيئةٍ لاتغتفر ضدّ العمل الجبهوي في حالة قطع الحوار ومقاطعته، ومقاطعة الاطراف الأخرى حيث تفسر الاشياء حينئذٍ بأسلوبٍ آخر؟!..

وأسألوه: لماذا حين دعوتُ رئيس اللجنة التحضيرية الأستاذ فوزي الراوي للاجتماع معه لمواصله الحديث حول الجبهة، وبحضور الشيخ حازم أبو ريشة، قاطعني حتىّ أني لم أكمل حديثي حول أهمية الجبهة المنشودة، وغضب مني، فخرج عن أدب الحوار الملتزم، وعن المقاييس الاخلاقية؟!..

وأنت يا أبا معمر تزعم أنّه أثناء الحوار: «انفجرت مرارته» و«صعدَ ضغطه» لهذا تجدهُ خرج عن طوره؟!..{وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}{(٣)}.

ثمّ أسألوه: حينما قابلتهُ وكالة:«الملف برس»، ردّ عليّ مهدداً ب «القضاء السوري»، وعلى صديقه الصدوق عادل رؤوف، وعلى عضده أبوياسر الألوسي.. وانت يا أبا معمر تخاطبني عبر الهاتف ماذا تنتظرون منه، وأنتم تطعنون ب «وطنيته» وب «تأريخه» في الوقت الذي نحن لدينا معلوماتٍ خطيرةٍ تثبتُ ذلك، والله على ما نقول شهيد!..

هل فندد الوقائع التي أشرنا إليها في بياننا الثلاثي، وأسندها بالدليل والبرهان.. أم أكتفى في هذه المقابلة الضبابية متعمداً الغمز علينا، ولم يستطع أن يزعم علينا ظلماً وعدواناً، وأنا قد كشفنا في بياننا عما يخفي عليكم من أنفسنا ومن تصرفاتنا؟!..

وهل يجسر أن يُعلن أن تصرفات حدثت مني تضر بالمؤتمر التأسيسي العراقي بعد إستقالتي منه إن كان من الصادقين؟!...

ولماذا لا يكتب محضراً بـ «لقائه» مع السيّد الخامنّي، وهو الذي معه باسم المؤتمر التأسيسي العراقي الوطني، وهو الذي ضحى في سبيله بخيرة اعضاء الأمانة العامة للمؤتمر، لو كُشِفَ القناع الحقيقي عنه لتفتت قلب كلّ وطني، وقلب كلّ مؤمنٍ تواقٍ للتحريّر؟!..

ولماذا يثير بنفسه هذه الشكوك، ويبيد من المعلومات ما أن اظهرته لفر من حوله كلّ وطني، وكلّ من عرف «تأريخه» من أيّام الشتات والهجرة؟!..

ولماذا لا يرد على مقابلي، التي نشرت في صحيفة «الصّوت»، على صدر صفحتها الاولى ترى مانشيت عريض يقول: «المرجع الدّيني أحمد الحسني البغدادي لـ«الصّوت»: الخالصي إستجاب لثلاث دعوات سعودية!..» بتاريخ ٤ آب ٢٠٠٧م، وحينما سألت، وقلت بالحرف الواحد رداً على سؤال إستفهامي وجه لي تحت عنوان بارز:

٥ - تداعيات ونتائج

من يمولك يقال إن إحدى دول الجوّار الإقليمي تقوم بتمويلك؟!..

فأجبتُه على الفور: من تقصد السعودية، أم مصر، أم إيران، أم سورية، أم الأردن؟!..

قال لي: السعودية مثلاً؟!..

فأجبتُه صراحةً: كنتُ أجلس في فندق الإيوان في العاصمة السورية في ٥ أيار ٢٠٠٦م، وررّ الهاتف من بدالة الفندق، وقيل لي أنّ أحد الإخوة من لندن يتكلّم معك (٤)، فرحب بيّ، وقال بالحرف الواحد: مرجعية «شيعية» بلا دعم مادي لا تنتصر، ولا تستقطب الحوزة والجماهير، كما هي حال المرجع المبرز في النّجف الأشرف - يقصد السيستاني، الذي يأتيه دعم مادي من خارج الدائرة الإسلاميّة..

قلت: ماذا تقصد؟

قال: يجب أن نفتح لكّ جسراً مع الملك عبد الله خادم الحرمين الشريفين، فتزوره على رأس وفدٍ سري، وتنسق معه لدعم مرجعيّتك الدينيّة في العراق.. كنتُ أحترم ذلك الرجل الذي يكلمني لأنني كنتُ أحسبه شخصيّةً وطنيّةً، وقد أصابنتي صدمة، فلم يكن في الحسبان أن يخاطبني هذا الشخص بمثل هذه اللّغة، وأنا مُنذُ نشأتي أرفض الدعم من

الحكومات المتتالية في بلادي، خلافاً لزملائي من رموز الحركة الإسلامية، فضلاً عن الخارج.

وقد كتبت هذا الشيء في كتاب: «السلطة والمؤسسة الشيعية في العراق»، أرجو أن تراجعوه على موقعنا. ولما حدثتُ بذلك الأخ عادل رؤوف لم يستغرب، وقال لي: إنّ هناك حركةً سعوديةً ناشطة لاستقطاب الكثير من رموز المشروع الوطني المعارض، وأنّ الشّيخ جواد الخالصي، وفي آخر لقاء لي معه أوصل إليّ دعوة - كما يؤكد رؤوف - لزيارة المملكة العربيّة السعوديّة من خلال وفد يضمّه مع الشّيخ حارث الضاري و«رؤوف».. وفد ثلاثي لزيارة المملكة، وأبلغني رؤوف أيضاً أنّه: رفض الاستجابة للدعوة لأسبابٍ وضحاها لي في حينها، وأنّ الشّيخ الدكتور حارث الضاري لم يستجب للدعوة.. فاستجاب الخالصي وحده لها، وبعد زيارته المملكة العربيّة السعوديّة جاء يفتح رؤوف بشأن أخرى تضم الاثنين معاً، فكرر رؤوف الرفض، وفي المرّة الثالثة قال له: إنّ الإخوة في السعوديّة يرون أنّ تقوم بزيارة خاصةٍ مفردةٍ لهم، فرفض رؤوف ثالثةً.. وكان السبب وراء هذا الإصرار - كما قال رؤوف - هو الدعم المادي، وإصرار الخالصي عليه، وأنّه مستعد لأن يتسلّم دعماً مادياً من السعوديّة(٥) إذا كان ذلك ممكناً!..

وخلاصة القول: والله وبالله وتالله.. والله المهلك المدرك أنّه لقسم عظيم، ليس بيني وبين الخالصي «خصومة» شخصانية وفردانية حول تركة الأموال، التي قبضها من الإيرانيين والسعوديين حصراً باسم المؤتمر التأسيسي العراقيّ الوطني، اختلفنا على توزيعها، حتّى لا يمكن أن نتصالح أو نتصافى فيما بيننا على أساليب توزيعها، في الوقت الذي أعلنتُ انسحابي الكامل من المؤتمر الموقر(٦) قبل سنّة ونيف بعد أن وجدتُ مسيرة هذا المؤتمر قد أفرزت خلافاً واضحاً في بعض الاداءات، وتبلورت بعض ملاحظات حاولتُ تجاوزها دون جدوى، لذا فقد اسرعت إلى القول إنّ المسألة ليست مسألة خصام أو صلح، بل هي مسألة ثوابت إسلامية عامة، والتزامات دستورية وتنظيمية لا يصح الخروج عنها إذا التزم بها أعضاء المؤتمر التأسيسي وكوادره، فليس عندنا سوى الاحترام والاكرام.

هذا.. وقد قدمت أفضل الأدلة المعمقة على إقامة الجبهة الوطنيّة العراقيّة المناهضة والمقاومة للاحتلال كضرورة رسالية حضارية تاريخية ملحة لدحر الاميركان والتابعين لهم، بيّدتُ أنّي أعلنتُ في حينها بصراحة: إنّ الذين افسلوا مؤتمر القوى العراقيّة المناهضة والمقاومة للاحتلال وضربوه يعيشون الشخصانية والفردانية من أجل منصبٍ زائلٍ على حساب وطنٍ حرٍ باقٍ، بل ذهبُ الى أبعد من ذلك إذ قلتُ: إنّ هناك قوى خارجية تدخلت في أعمال المؤتمر وضغطت باتجاه إفشاله!..

وخلاصة القول يا أبا معمر!! إنّهُ ظالم في عمله، وظالم نفسه، وظالم لمؤسسي الأمانة العامة، الذين انتمنوه على كُُلّ شاردةٍ وواردةٍ بوصفه «يحمل قضية» فغدر بهم!.. إنّ التغير الفجائي الذي لاحظته أعضاء المجلس المركزي والأمانة العامة في سلوك الخالصي يُخفي تحته سرّاً، فما الذي حدث في نفسيته بحيث جعله ينقلب انقلاباً كبيراً في سنواته

الخيرة.. سؤال في حاجة الى إجابة؟!.. ويبدو لي أن هذه المفارقات قد أُورثت في عقله الباطن عقدة نفسية ضدَّ كُلِّ من هتك والده، وشرد جدَّهُ الفقيه وهذا ليس بمستغربٍ، فليس في هذه الدُّنيا شخص عُذِبَ بمثل ما عُذِبَ والده وجده في الوطن وفي الشتات والهجرة، ثمَّ نريده ينسى ذلك، إلا أن لا يكون بشراً!!!.. اللهم إمنحنا الغيرة.. وأرزقنا الوحدة.. وكرمنا بالاستقلال من الكفر واهله، ومن النفاق واهله.. ووقفنا إلى طرد الاحتلال، الذي يحاول نسف التوحيد والرسالة والقرآن والضمير والوجدان.

في مقر إقامتي على هامش أعمال المؤتمر استقبلت شخصيات إسلامية، وماركسية، وليبرالية، ونقابية، واعلامية.. البعض منهم يمثلُ الاحزاب والتيارات العربيَّة والإسلامية، واکدتُ خلال تلك اللقاءات على خطورة المرحلة الراهنة، التي يمرُّ بها الوطن العربيَّ والإسلاميَّ الكبير، وما يحوِّكه الاستكبار الاميركي والكفر العالمي من مؤامرات الفرنجة المصهينة في حرب هذه الامة، ومحو هويتها وتراثها وشريعته الخاتمة، ومن أبرزها ظهور دعوات مشبوهة برزت إلى الوجود مع إحتلال أمريكا العراق أطلقها بعض الكُتَّاب والمؤلفين والمتفقين الجدد بأن الإسلام لا يدعو الى العنف بكُلِّ صورته واشكاله ضدَّ المشركين والكافرين، وانما يدعو الى الحوار الشفاف والتفاهم الحضاري.

هذه الشبهة ليست بجديدة. أراد حكام هذه الأمة، وأرادت لها قوى معادية للشريعة العمليَّة الخاتمة من خارج الدائرة الإسلامية أن تزرع في ذهنية الاجيال، وتجذّر في عواطف النَّاس لتشكيل حواجز تفصل الامة عن روافد الاطروحة الاصلية.

هذه الشبهة لاتستحق الرد والتفنيد، ولا تحتاج الى تفسير أو دليل بوصفها محررة في الموسوعات الفقهية الاستدلالية المعقدة تكشف أنَّ مقتضى الاصل إنتزاع أموالهم، وسبي نسائهم، وهدر دمائهم بوصفهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، ولا بشريعته الخاتمة، التي نسخت كُلَّ الشرائع والاديان السماوية السابقة، هذا كُلُّه اذا لم يطبقوا العواصم الخمس المشهورة كإعتناق الإسلام، وإعطاء الجزية، أو النزول على حكم الإمام، أو من يختاره ونحوه.

هذه التفسيرات والرؤى والتصورات الخاطئة بما تحمله من تشويه أزاء فقه الجهاد الإسلاميِّ بقسميه، والحالة الجهادية الإسلامية تُعبِّر عن أزمة في التعاطي وفي المنهجية والبحث، لاتمتلك قوة الدليل والحجة، وتتجنى على نصوص تشريعية، التي لاتبديل فيها ولا تغيير.

واكدتُ إنَّ هذه المسؤولية ملقاة على عواتقنا بلا إستثناء، ولاسيما رجال الفكر والعقيدة ازاء ذلك كُلُّه، وأكدت على أنَّ السعي الجاد لحماية وحدة المقاومة، ووحدة الخطاب السياسيِّ والفكري هي الطريق الوحيد لتحرير الارض والإنسان الفلسطيني واللبناني والعراقي والصومالي والافغاني والشيشاني.

كان من أبرز الوجوه المتألّفة، التي إستقبلتها: د. عبد الكاظم العبودي، والاستاذ صبحي توما، والاستاذ باقر ابراهيم، والاستاذ رجاء الناصر، والاستاذ احمد عمايري، و د. محمّد صالح المسفر، والاستاذ العابد الشّيح الطاهر، و د. نادية ركب، والداعية الشّيح عبد الله جاب الله، والاستاذ كمال شاتيل، والاستاذ معن بشور، والاستاذ عبد العظيم المغربي، والاستاذ جلال بوعاتي، وسفير دولة فلسطين والوفد المرافق له ولا أتذكر اسمه، وكثير غيرهم.

٦ - الاجتماع المغلق بين الاضداد

س: طال الحديث وكثر الكلام حول ما حصل في المؤتمر التأسيسي العراقيّ الوطني من مردوداتٍ سلبية، وما جرى فيه من طروحاتٍ مثيرة لم تخطر في الحسبان!.. ولكن.. هناك تساؤلات مشروعة حول ما في الاجتماع المغلق الذي تم في مقر إقامتك بفندق الأوراسي على هامش اعمال المؤتمر بينك وبين اعضاء قياديين في حزب البعث العراقيّ مما يعتبر حدثاً مفصلياً في ظل الاحتلال، لاسيما ماورد مؤخراً في مذكرات «صدام حسين من الزنزانة الأميركية.. هذا ماحدث»، صفحة: «٣٠٤»، طبعة الخرطوم ٢٠٠٩ تحت عنوان بارز: «توقعاتٌ ومشاعرٌ ورسائلٌ» حيث قال: أما الإمام البغدادي فقد قلتُ لرفاقي إن البعثيين ينضمون إليه لأنّه لايفرق بين فئات الشعب».

ج: دخلت في حوار طويل إستغرق ثلاث ساعات مع قيادي الحزب الأربعة: حسن هاشم.. وعبد الرزاق الدليمي.. وكريم الملا.. وخضير المرشدي، وشاركني في الحوار الشّيح جواد الخالصي بحضور الدكتور عبد الكاظم العبودي، وقد طلبوا منا الانخراط في المؤتمر التأسيسي العراقيّ الوطني غير أنّ الشّيح الخالصي انتقدهم بـ «قسوة» وخاطبهم بقتلة الشعب العراقيّ، والمّاسي والويلات، التي أصابت أبناء الأمة بسببكم أنتم وإذا أردتم «الانخراط» في المؤتمر التأسيسي يجب أولاً وقبل كلّ شيء أن تعلنوا للملا عن كلّ ماقمتم به من دمارٍ وبوارٍ ودماءٍ لأهلنا، وتحاسبوا المسيئين من كوادركم، وبالتالي تقدموا التوبة النصوح عن كلّ الافعال التي صدرت من أجهزكم الأمنية والاستخباراتية.

لكن.. حسن هاشم قاطعه وبسرعة قائلاً: ياشيخ يجب أن تنسى كلّ شيء لأن رفاقنا يقاتلون الآن الاميركان الغزاة المحتلين من خلال جيش محمّد، حديثك هذا يتّم عن «حقدٍ دفين»، لأنّه ليس من سيرة رسول الله محمّد، واخلاقه وسماحته، وعفوه، وقد شرّده مشركو مكة مع أصحابه، ولمّا فتحها عفا عنهم، دون أن يحاسب أحداً منهم، وقال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن (٧)، وكان رأس الفتنة وحرابها.

هذا.. وصحيح أنّ هناك أخطاءً صدرت منا، فاذا قارناها بـ «الانجازات المتألّفة» فهي عوائق لاتحسب، ولاتقارن، ولا تعيق مسيرة عملاقة متحضرة كمسيرتنا، ولايسوغ عقلاً ولا قانوناً أن يرمى عليها، بكلّ أسباب ما حصل من تسبب وضياع، ثمّ نحن كحزب

أعددنا«برنامجاً تعددياً» لكلِّ المكوّنات الحزبية والمستقلة لقيادة العراق، وكنا بصدد «تفعله والعمل به» بيّد أنّ ظروف الغزو والاحتلال حالت دون ذلك!..

وبعد انتهاء الجلسة وجهت إليه عتاباً رقيقاً، وقلت له: يا ابا زينب صحيح ما نطقت به مع هؤلاء، بل أضيفُ: كانت بيدهم السلطة.. والسلاح.. والمال.. ولم يواجه الغزو الاميركي - البريطاني بالشكل المطلوب، الذي تتطلبه المرحلة بعد أن أنشأ خمسة وخمسين فوجاً للمقاومة، فضلاً عن الافواج الحزبية «المليونية»، ولو استخدمت هذه القوات بالشكل الملائم لكان من المستحيل اجتياح بغداد واحتلالها، ولو كان رفاق الحزب صادقين مخلصين حقاً لكان الدخول في حرب شوارع عمودياً وافقياً هو أقلّ الاعتبارات، فلا تنتهي هذه المقاومة الباسلة إلا بهزيمة المعتدين، والا بماذا يُفسر الحزب تحديداً عدم اتخاذ سياسية الارض المحروقة أمام غزوةٍ توراتيةٍ غاشمة، كما فعلها الروس ضدّ نابليون، والغزو الهتلري الطائش!..

ولكن - يا ابا زينب - هل هناك رسالةٌ أرّدت أن تبعث بها حين تتكلم بهذه الطريقة مع هؤلاء، ونحن نعيش تحت مظلة احتلال استيطاني مباشر، وكلّ ما نحتاج اليه في هذه المرحلة هو تغيير أنماط الرؤى، وطريقة التفكير، وقواعد العمل والبناء، بقدر ما نحتاج الى نماذج بعقلية الخلاص والتحول، بقدر ما نعمل بمنطق الجهاد المسلح، ووحدة الخطاب السياسي، وتحقيق العمل الجبهوي.. أما الحساب والعتاب فعلينا تأجيله لغاية التفرغ من مهمة طرد الاحتلال الاميركي، وبالتالي نحاسب المسيء، ونعفو عن البريء من خلال القضاء الإسلامي.

إنّ حديثك فيه «قسوة»، وحرري بنا كمؤتمر تأسيسي عراقي وطني ألا نخرج عن مراجعة ومشاورة أعضاء الأمانة العامة والمجلس المركزي، وان لانحيد عن قاعدة «عفى الله عما سلف»، ولكن لا ينبغي أن ننخدع كما إنخدع إخواننا من قبل باسم «مكافحة الشيوعية» في العراق أبان إنقلاب الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨م، وبالتالي تحل الدكتاتورية محل التعددية الشورية، والشعارات الانشائية محل المصادقية الواقعية، والحزب القائد محل دولة المؤسسات، ذلك كلّه ليقول الشعب العراقي كلمته أمام صناديق الاقتراع، وهذا يتطلب كذلك تجاوز الخلافات لصالح مرحلة التحرر الوطني التي نعيشها.

سألني بأبتسامته المصطنعة: ماذا تعني من هذا الاعتراض، قلت: مؤدى القول وخلاصته هنا أنّ الحوار مبناه الاعتراف والاعتذار، واعتراف كلّ واحد بمسؤوليته ك«فرد أو جماعة» عن الأزمة العراقية المستعصية، التي أسهم في صنعها على سبيل النقد والمراجعة تجري معالجتها بعدة أيديولوجيات جديدة، واستراتيجيات جديدة من مفرداتها: النسبية، والشراكة، والتسوية. ولأمراء أنّ هناك رافداً آخر لا أغفله، كما أفعل دوماً لتجاوزي العقد السادس من عمري، وهو: إنّ من جراء هذا «الحديث القاسي» البعيد عن المدارات الإسلامية والوطنية والقومية، أن يجعل مشاريع مؤتمرنا التأسيسي تنسج بوعي،

أو بغير وعي من مفردات الأحادية والاحتكار والوصاية والهيمنة والاقصاء، كما يتجلى ذلك بشكل خاص على بداية أحاديثك التي تنفرد بها.

٧ - كلمة لا بد منها

وللاطلاع على «ملايسات» مقولة صدام حسين القائلة: «أما الإمام البغدادي فقد قلتُ لرفاقي: إن البعثيين ينضمون إليه لأنه لايفرق بين فئات الشعب»، ومن هنا نورد نصاً مستقلاً من موقع « دار بابل للدراسات والاعلام» في زاوية «قضية الاسبوع»: أثار فائز محمّد عبد الله عدداً من الاشكاليات حول تخلي الحزب عن كل «الشعارات» التي نادى بها وحاول تطبيقها بعد احتلال اميركا العراق، وقد جاء فيه :

« بعد ان انهيت قراءتي لكتاب المحامي خليل الدليمي (صدام حسين من الزنزانة الأميركية: هذا ما حدث) تأكدت من مسألتين، وانا هنا لست في معرض نقد الكتاب او تحليله؛ الاولى ان المرحوم الرئيس ليس على اطلاع بمجريات مسيرة العمل الحزبي بعد الاحتلال، والثانية ان مسيرة العمل الحزبي تجري على غير فهمه لطبيعة العمل في المرحلة الراهنة. وهنا لا بد من الاشارة بان هذه المقالة تفترض صحة ما ورد من معلومات في الكتاب المذكور. ولعل الكثير من المؤشرات فيه بينت ان نظرة المناضل صدام حسين لكيفية معالجة مسألة الاحتلال مغايرة لما يسير عليه حالياً النشاط السياسي لقيادة تنظيمه بخاصة في مجال العلاقات مع القوى المناهضة للاحتلال والمقاومة له، فالرئيس دعا بشكل واضح الى الانفتاح على هذه القوى والخروج من مأزق الحزبية الضيقة في التعامل، لابل توقع مثلما ورد في الصفحة ٣٠٤، «انضمام البعثيين الى الإمام البغدادي».

ولو اردنا مراجعة الواقع الحالي فماذا نرى؟.

اولاً: توجهات واضحة لجعل التنظيم الحالي تنظيماً طائفيًا واخرها الرسالة المذهبية المتشددة للمناضل امين سر قيادة التنظيم المؤرخة في ١٩ كانون الأول الماضي.

ثانياً: احكام اغلاق علاقات التنظيم مع طرف مذهبي متدين واحد وانشاء تحالفات مع شخصيات متطرفة دينياً واعطاء هذه التحالفات أشكالاً مبالغاً فيها ومسميات وصلت الى حد قال فيه احد ابرز الناشطين في اعلام التنظيم يوم الاعلان عنها بانه (يوم تاريخي في حياة الشعب العراقي) مما أعاد الى الأذهان كلمة بحر العلوم اثناء الاعلان عن تأسيس مجلس الحكم الانتقالي حيث طالب بان يكون يوم الاحتلال عيداً وطنياً. الا ان الفرق متوفر بالتأكيد بين الشخصيتين، لكن المبالغة والاستخفاف بمشاعر البعثيين والشعب العراقي وبعقله صفة مشتركة لديهما.

ثالثاً: ان الرئيس يريد تحرير العراق وان (العراق لمن يحرره) وان مرحلة ما بعد التحرير سوف يكون مع (حزبنا احزاب اخرى) صفحة ٣٠٧. فيما مؤشرات النشاط السياسي لقيادة التنظيم الشخصية حالياً لم تتجاوز مفهوم الرجوع الى الحكم وفي ذلك مؤشرات كثيرة وشتان ما بين الرايين والمفهومين.

وثمة من يقول بأن المسؤولين عن الانشطة السياسية والاعلامية للتنظيم ليسوا ممن يمتلكون خبرة التنظيمات السرية وعلاقتها ويرفضون استشارة الكادر القديم، وهذا يعني ان الجهاز الحزبي المناضل واقع في اشكالية انعدام الخبرات من جهة والتطرف الديني المذهبي من جهة اخرى. وهذان الأمران انعكسا انحساراً بشبه عزلة داخلية وخارجية مع الاسف. بالنسبة للأمر الأول ولعل التصريح الاخير للرفيق ابو محمد (الناطق الرسمي) عن مؤتمر مساندة المقاومة في بيروت خير دليل على ذلك. فيما خلق الأمر الثاني تبعات جعلت الحركات الدينية المناهضة للاحتلال في موقف ضبابي اذ لا تتسجم ولا تتواءم مسألة الحزب القومي الاشتراكي ونظريته مع الثقافة المنحازة مذهبياً التي تحشر في التنظيم حالياً، لذا بقي التنظيم عائماً امام الهيئات والحركات الدينية وكذلك امام الحركات القومية والوطنية المناهضة والمقاومة للاحتلال، فهو تنظيم قومي اشتراكي يحاول قائه لباسه مسحة مذهبية منحازة ليست من صفات التنظيم الفكرية ولا التاريخية.

وفي الوقت الذي تتنصل فيه احزاب مذهبية منحازة من هذه الصفة محاولة التمسح بالوطنية، ورفض الطائفية اعلامياً يظهر المناضل امين سر تنظيم بعثي وكأنه يمهّد للتراجع عن فكره القومي والوطني نحو التمدد الديني، ومن دون استشارة الجهاز الحزبي عبر الوسائل الشرعية الداخلية، فاصبح الجهاز محتاراً ومضرب الفهم، وهو يقرأ عبر الانترنت ثقافة غريبة عن تقاليد الوطنية والقومية، فبدلاً من طرح حلول للوطن المحتل، واطراح شعبنا الفاسية، ويتدارس الصلة مع الحزبيين، جعلنا نغوص في متاهة التصوف والفقه والشريعة بتفاصيلها المذهبية، وبالتالي اصبح الامر، اردنا ام لم نرد، يصب في تدعيم الثقافة، التي جاء بها الاحتلال من أنّ هذا التنظيم البعثي لا يعود لعموم العراقيين انما يعود الى طائفة دينية واحدة.

قد يكون وضوح وصراتي شديدين، ولكن هذه هي الحقيقة، وهكذا تحلل الجهات الاخرى، هذا الواقع الذي لن يؤدي الا اعضاء التنظيم ومناصريه، ويزيدهم حيرة ومشاكل، وهم يواجهون منفردين اكبر حملة اجتثاثية لم يواجهوها من قبل. اما لماذا «منفردين» فيعود الى عدم نجاح القيادة الشخصية للتنظيم في ايجاد روابط العمل الحزبي وصلاته، مما ادى الى ان تكون المواجهة بين الحزبيين كأشخاص وأفراد، وبين مجموعة الميليشيات للأحزاب الوافدة كجهات مسلحة ومنظمة. وهكذا قتل الحزبيون واحدا واحدا وقيادة التنظيم الشخصية غائبة ومنقطعة عنهم وعن أي رد دفاعي او تحصيني. واستشهد الآف الاعضاء في الوسط والجنوب والشمال ليس في معركة مواجهة انما في عمليات غدر وقتل فردي بطريقة اقتياد الحزبي من مسكنه، او اطلاق النار عليه في الشوارع، لذا

لا يوجد توثيق لهذا الأمر ولا تعرف القيادة الشخصية العدد الحقيقي للشهداء من الرفاق، ولهذا الموضوع قصة أخرى.

وبصراحة أيضا فان عدم تمكن القيادة الشخصية للتنظيم من النجاح في تنفيذ وصايا الرفيق الأمين العام ورواه قبل استشهاده، التي وردت في الكتاب من مثل « التوحد ضمن منهج مناهض للاحتلال مع كل التيارات التي تعمل على وحدة العراق» وهذا هدف استراتيجي كبير يعي تماما الطريق الصحيح لاعادة السيادة لبلادنا، ونيلها الاستقلال، يعود الى عدد من الأسباب أهمها:

١- غياب القيادة كمؤسسة، وعندما ظهرت تركزت في شخصية قيادية واحدة يتم الاتصال بها عبر الانترنت او الانتظار لأشهر لكي يتم لقاء لعرض موضوع يتطلب موقفا سريعا فيكون الوقت المناسب للموقف المطلوب قد مضى وانتهى.

٢- انزال القيادة الشخصية عن محيطها التنظيمي، وعن الأحداث والتفاعلات في وطننا، لابل حتى داخل الجهاز الحزبي.. فكيف بالنسبة للأحداث الاقليمية المحيطة والاحداث الدولية؟

٣- تسبب انزال القيادة الشخصية في التورط بمواقف خاطئة عديدة، لانها تتخذ القرارات بمعزل عن المعطيات الحقيقية، التي تدفقت بعد كارثة زلزال الاحتلال معتمدة الرغبات المستندة الى ارضية خلافات حزبية ومشاكل مُنذُ اواسط الستينيات من القرن الماضي، ولم يعد لها وجود حالياً، مما ادى الى تكرار مقولة محمد حسنين هيكل عن الخميني من انه قذيفة انطلقت من القرن التاسع عشر ووصلت في الثلث الاخير من القرن العشرين. ومعروفة هي النتائج التي جاءت بها تلك القذيفة والمعضلات التي خلقتها وتسببت في موت الملايين وتدمير بنى تحتية وما زالت تؤزم المنطقة عدا الكوارث التي عاشها شعبنا العراقي وفي مقدمته ابناء الحزب ولحد هذه اللحظة نتيجة عدم اكتمال صورة وفهم كيفية التعامل معها ومع ظروفها التي خلقتها.

٤- رفض اية وجهة نظر لتقويم المسيرة السابقة.

٥- حرمان الجهاز الحزبي من ممارسة حقوقه التنظيمية كحق اختيار القيادات الملائمة للمرحلة الراهنة والاستمرار بسياسة التعيينات بعيدا عن النظام الداخلي مما جعل التنظيم كله يعيش حالة مرتبكة، نظراً لان التعيينات ليست مبنية على الكفاءة والمقدرة انما على اساس المعرفة الشخصية، او معرفة الوسيط.

٦- استمرار تأثير بعض من المزايد والمداهين في مكاتب المسؤوليات الخارجية الثقافية والاعلامية الذين لا يعلمون شيئاً عن الساحة الداخلية الا اسمها حيث يتواجد بعضهم على بعد الاف الكيلومترات عن الوطن وقضاياها الساخنة، لكنهم يصدرون البيانات، ويتخذون المواقف الغريبة والبعيدة عن الواقع من دون اية مسؤوليّة حيث

انعكس ذلك سلبياً على التنظيم وعلى الحزبيين. وكمثال على بعض من هؤلاء فقد تم ايفاد احدهم بمعية الرفيق الناطق الرسمي الى احدى دول الخليج بمهمة للعلاقات، لكنه ما ان قابل المسؤول الاول في تلك الدولة حتى ترجاه ان يقبله لاجئاً فيها متنصلاً عن مهمته ورفيقه والنضال ضد الاحتلال، وقبل فعلاً لكونه مسؤولاً في احد المكاتب الخارجية للتنظيم، وهو اصلاً قد عين بالمعرفة الشخصية على الرغم من الاعتراض عليه، لكونه احد المشرفين على قتل العديد من الحزبيين القيايين سنة ١٩٧٩، ومارس التعذيب بحق من بقي منهم حياً بعد ان حكموا بالسجن لسنوات محددة اذ كان ينظم يومياً عمليات تعذيب جسدي ونفسي راح ضحيتها مجموعة من الكادر المتقدم، وبعض ممن عاشوا هذه القصة، وتلقى التعذيب اليومي منه وشهد مقتل رفاقه بعينيه مازال بيننا، فقد كان المذكور يأتي الى السجن الخاص في ابو غريب ويصيح بالحرس (هل مازال هؤلاء المجرمين احياء؟) ويأمر باخراجهم من زنازينهم لتبدأ عملية التعذيب والضرب بالعصي والالات الجارحة، عدا المسألة النفسية التي يندى لها جبين النضال والاديان، فهل يصلح مثل هذا ان يستلم مسؤولية في علاقات التنظيم الخارجية وهو لا يصلح ان يكون حزياً بالاصل؟. ومن المسؤول عن هذا الاختيار غير الشخصية وآلية العمل الحالية بكل ثقلها ومخالفتها النظام الداخلي والشرعية الحزبية التي ادت الى تعظيم المأزق الداخلي بقدر التعظيم الانشائي والتأليه للرفيق امين السر الحالي، الذي اطلق عليه المداهنون القاباً لاتغني ولا تسمن منها خادم الجهاد والمجاهدين على وزن خادم الحرمين الشريفين والمنتصر والمعتز بالله الى اخره وكأننا في أواخر العصر العباسي قبيل انهيار الدولة واجتياح المغول لبغداد متناسين اننا في الألفية الثالثة وبدايات القرن الواحد والعشرين وان احتلالاً مدمراً قد وقع على بلادنا. والحق يقال ان الاجتماع الاخير لمكتب العلاقات الخارجية قد اعترض ورفض خطوات تأليه الرفيق امين سر التنظيم الحالي ودعا الى الإعتاظ من تجربة التأليه السابقة.

واذا ما عدنا الى مسيرة العمل الحزبي، التي تجري على غير مفهوم الرئيس، الوارد في الكتاب، حيث ان فهمه أوسع وأوضح وأدق واكثر تشخيصاً للمرحلة على الرغم من وجوده في حينها داخل السجن الاميركي، نجد ان النقاط الآتية تدلل على هذا الامر:

اولاً: طالب بأن يدعم الحزب جميع التيارات التي لا صلة لها بإيران.

ثانياً: طالب بتوضيح الامور امام التيارات والفصائل الدينية من ان الافتراض « بأننا خصوم» اي التنظيم والتيارات الدينية « هو من اكبر الاخطاء» ص ٣٠٧. وخاطبهم قائلاً « لن نختلف معكم في امور الدين».

ثالثاً: وفي رسالته الى المناضل امين السر حالياً أكد على « كنا دائماً ندعو الى الايمان.. وكان نهجنا عدم زج الدولة في المذهبية» ص ٣٠٧.

رابعاً: قال « ينبغي للحزب.. ان يحث التيارات التي تعمل على وحدة العراق للتوحد ضمن منهج مناهض للاحتلال» لذا « علينا ان نتعاون معهم ونشجعهم».

نقاط أربع لا بد من التوقف عندها بشكل مكثف وأخص مسألتين.. الأولى هي المذهبية والثانية هي الجبهة الاستراتيجية للتحرير. فبالنسبة الى الاولى لم يتوقف الرفيق امين السر حالياً عن محاولاته زج التنظيم في المذهبية وهو يكون بذلك على العكس من دعوة الرئيس صدام حسين التي تضمنتها رسالته الشخصية اليه.. فما المقصود من ذلك غير عزل التنظيم وتحطيمه وتفكيك منظماته عدا عن أن الفكر المتوارث داخل التنظيم يرفض الطائفية والمذهبية تماما وان الفكر القومي العروبي الوحدوي على النقيض من الطائفية والمذهبية التي يدعو اليها.

وبالنسبة الى ايجاد الجبهة الاستراتيجية لنيل الاستقلال واعادة السيادة، فقد صدرت مواقف بالصد من هذا الهدف منها: مسألة المحاولة الجادة لوحدة التنظيم ذلك المشروع الذي تداولته القيادتان القوميتان بشكل استبشر فيه الحزبيون بحل معضلة كبيرة، واذا بمواقف وبيانات تصدر من الرفيق امين عام التنظيم يعتبر فيها مشروع وحدة الحزب مؤامرة ضد الحزب؟! متجاهلا ان القيادة القومية التي وافقت على ان يكون وريثا للأمين العام بعد استشهاده هي التي تقود خطوات المشروع، فمن هو الحزب اذن؟ ومن هو الضالع في مؤامرات ضده؟ وكيف يكون مشروع وحدة الحزب بكل مواصفاته وأثره الكبير على الواقع المتردي مؤامرة؟ ولماذا اعلن موقفه بعد ان بدأت القيادتان القوميتان اجتماعاتهما في خطوات تمهيدية تجري للمرة الثانية منذ سنة ١٩٦٥ ثم ١٩٧٩ لبحث آلية المسألة وليس قبل ذلك؟..

الموقف المفاجئ أحضر الى الذهن مأساة ١٩٧٩ عندما اتهم نصف القيادة القطرية، واكثر من ٧٠ من الكادر المتقدم من اعضاء المؤتمر القطري، والامين العام المساعد للقيادة القومية، وعضو في القيادة القومية «بمؤامرة» انتهت باعدام مجموعة من المناضلين الاكفاء، وسجن آخرين، وموت بعضهم جراء التعذيب اليومي، ولا احد يعرف الحقائق، اذ لم يحقق التنظيم في المسألة، بل لم يسمح لاحد بالسؤال عن الموضوع، وهل هناك مؤامرة فعلا ام لا، ومن هو الحزب في هذه الحالة؟ هل هو امين السر فقط ومجموعته الأمنية والبقية لاعلاقة لهم به خاصة بعد اعدام نصف القيادة القطرية من دون تحقيق قانوني او حزبي؟!..

وبعد مضي هذه السنوات وفي ظروف الاحتلال لم تتغير الصورة على الرغم من دعوة الامين العام قبل استشهاده لاقامة تحالفات حقيقية لا شكلية فان الجبهة المنشودة بقيت بعيدة عن سلوك القيادة الشخصية للتنظيم حالياً. ولا نعلم هل ان هذا الموقف نابع من عدم القناعة بتوصيات الرفيق الامين العام قبل استشهاده، ام من عدم اهمية ووعي وجود جبهة بكل معنى الكلمة لادارة معركة اعادة السيادة ونيل الاستقلال لبلادنا؟!..

واخيرا نسأل: هل سيظل التنظيم واعضاؤه المناضلون رهناء المحبسين؟ محبس الاحتلال وحكوماته بكل ما تملكه من بطش اعمى وحقد على الحزب وفكره العروبي الوحدوي، الذي ادى الى قتل الألاف منهم، ومحبس عقلية القيادة الشخصية، التي وضعت ضمن

اطار التراجع والتآكل والمصاعب، التي لم تنتج القيادة المذكورة في مواجهتها وفي اتاحة الفرصة للتنظيم وللحزبيين للدفاع عن انفسهم بل جعلتهم يسبغون في المجهول، بدلا من مواجهة المشاكل المصيرية الجسام!..

٧ اذار ٢٠١٠م

الهوامش

(١) ونسي الخالصي أو تناسى أنّ المشروع الذي أتبناه منذ انخراطي - بالتحديد في شتاء ١٩٦٣م - في تنظيمات منظمة الشباب المسلم، هو: الدعوة إلى تطبيق أيديولوجيا الإسلام الكونية كدين ودولة، وشريعة ونظام، وانتماني إلى العروبة - لا يمثل عقيدة قومية خاصة، وإنما يمثل إطاراً إنسانياً حضارياً، وهكذا أنا عراقي، بيد أنّ المواطنة العراقية لا تمثل خطأ أيديولوجياً خاصاً، كما أنّ القومية على ما أرى لا تمثل أطروحةً فكريةً مخصوصة، فالشريعة الإسلامية الخاتمة يمكن أن تتسع أفقياً وعمودياً للقومية التقوية الانسانية الحضارية لا للقومية الفكرية المخصوصة، التي تحمل طروحات غير إسلامية في داخلها، ومن خلال شعاراتها.

(٢) أقرأ بتوسع صفحة ٤١٦ : ١٦ - مؤتمر جبهة القوى العراقية المناهضة والمقاومة للاحتلال المنعقد بتاريخ ٢٢ تموز ٢٠٠٧ ميلادية.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

(٤) وهو: محمّد الخزاعي أبو فاطمة ممثل «مرجعية» محمود الصرخي في أوروبا، وقبلها كان ممثل: المؤتمر التأسيسي العراقي «الوطني» في المملكة المتحدة عام ٢٠٠٥م.

(٥) في صيف ٢٠١٠م زارني الشيخ علي عبد الله الحمد رئيس المجلس الاعلى لعشائر العراق ، وقدم لي: بيان محضر ومقررات المجلس المركزي الاستثنائي للمؤتمر التأسيسي العراقي الوطني ، المنعقد في الثامن من آب ٢٠١٠م بهدف «تنحية» الخالصي من الامانة العامة بسبب تقصيره وعدم قيامه بالواجبات والمسؤوليات المناطة به ، وتعطيل اعمال - المؤتمر ونشاطاته، وتحويله الى مؤسسة شخصية وفردانية لم تقم بأي نشاط يذكر يوازي التمويل الذي تم استلامه مباشرة من قبله. ثم بدأ الشيخ الحمد يتظلم على مضمّن من الشيخ حارث الضاري بسبب «انحيازه» إلى الشيخ الخالصي حينما دعا كلّ أمانة الفصائل المنضوية تحت راية المؤتمر التأسيسي ومن ضمنهم أمينه العام ، وبدأ الضاري يسهب في حديثه، ثم بعد ذلك ختم قوله باختصار : لا موجب لهذا الخلاف والنزاع بينكم وبين الخالصي وهو قبض من الحكومة السعودية دراهم معدودات تقدر بـ «خمسين ألف دولار» فقط!..

كما تجدر الإشارة هنا كذلك نطرح نص البيان الذي قدمه لي الشيخ الحمد وفيما يلي نصه :

«محضر ومقررات المجلس المركزي الاستثنائي للمؤتمر التأسيسي العراقي الوطني

المنعقد بتاريخ ٨ / ٨ / ٢٠١٠

وامرهم شورى بينهم

إستنادا الى بنود المادة (٧) من أحكام النظام الداخلي للمؤتمر، التي تنص على الاتي : (أ- يجتمع المجلس المركزي بشكل دوري كل ستة أشهر . ب - يجتمع المجلس المركزي في دورة إستثنائية بناءً على : ١ - دعوة الامانة العامة. ٢ - بناء على طلب مقدم من نصف أعضائه) وبالنظر لمرور اكثر من سنتين على إنعقاد آخر مجلس مركزي بتاريخ ٨ / ٢ / ٢٠٠٨ الذي تقرر فيه طبقاً للمادة (الرابعة) منه التي تنص على الاتي : (قرر المجلس المركزي ووافق بالاجماع على الاقتراح الخاص ببقاء الامين العام ونائبه الحاليين وممارسة مهامهم لمدة سنة كاملة تبدأ من تاريخ هذه الجلسة في ٢ / ٨ / ٢٠٠٨).

وعلى الرغم من محاولات اعضاء الامانة العامة المتكررة والتحريرية الى الامين العام بضرورة عقد جلسة للمجلس

المركزي طيلة السنوات الماضية وأهم المحاولات الآتية :

- ١- طلب تحريري موقع من ثلثي أعضاء الامانة العامة بتاريخ ٩ / ٤ / ٢٠٠٩ .
- ٢- تكليف الشيخ حارث الضاري مباشرة بعض أعضاء الامانة العامة، ومنهم: الدكتور عبد الرزاق الهيتي، والدكتور المهندس خالد المعيني، والشيخ نايف اسماعيل الناييف بتاريخ ٣ / ٨ / ٢٠٠٩ بزيارة الامين العام في مقره لتفقيه الأجواء السائدة آنذاك، التي طلب خلالها من السيد الامين العام عقد اجتماع للمجلس المركزي.
- ٣- الطلب التحريري المقدم من عضو الامانة العامة الاستاذ المناضل هادي خماس الامين العام لحركة التيار القومي العربي بتاريخ ١٥ / ٥ / ٢٠١٠ بضرورة عقد المجلس المركزي خلال شهر .
- ٤- الطلب التحريري المقدم من ثمانية أعضاء من أصل ١٢ عضواً يشكلون نصاب المؤتمر وفقاً لآخر مجلس مركزي عقد بتاريخ ٢ / ٨ / ٢٠٠٨ .

وأزاء هذا الاصرار على تعطيل عقد جلسات المجلس المركزي وإستمرار الامين العام على الرغم من إنتهاء ولايته منذ ٢ / ٨ / ٢٠٠٩ استناداً لما ورد أعلاه في التحدث باسم المؤتمر التأسيسي داخل العراق أو خارجه، و توجيه رسائل إلى الشعب العراقي والدول الاجنبية دون الرجوع الى بقية أعضاء الامانة العامة، وكذلك إستمرار إستلام منح مالية نظامية من اطراف متعاطفة مع القضية العراقية ومثبت قسم منها في آخر تقرير مالي صادر بتاريخ ٣٠ / ٧ / ٢٠٠٨، إضافة إلى بعض الجوانب المالية الأخرى التي تم استلامها والتصرف فيها دون علم أعضاء الامانة العامة و لم تظهر لغاية الان في كشوفات المؤتمر التأسيسي، والإصرار على تعطيل عقد أي إجتماع للمجلس المركزي خلافاً للنظام الداخلي على الرغم من الطلبات التحريرية المتكررة اعلاه . وكذلك تم خلال هاتين السنتين تجيير مؤسسات المؤتمر لصالح الجهة التي ينتمي إليها السيد الامين العام .

وبالنظر لتعهد الامين العام السابق الشيخ جواد الخالصي خطياً في الجلسة الاستثنائية المنعقدة في ١٤ / نيسان / ٢٠٠٨ وتوقيعه على وثيقة تنص على الآتي: (لا أرشح نفسي للامانة العامة مستقبلاً، ولا اقبل ترشيح الاخرين لي) التي وقع عليها لاغراض المصادقة كل من اعضاء الامانة العامة : د . وميض عمر نظمي نائب الامين العام، الاستاذ ثامر العبادي ممثل حزب الاصلاح، والاخ الشيخ عامر سلمان ممثل هيئة علماء المسلمين، إضافة الى توقيع الشيخ جواد الخالصي . -

- مما تقدم أعلاه، وبناء على مقتضيات المصلحة الوطنية - وبهدف العمل سوية - على تصحيح أوضاع المؤتمر التأسيسي، وطبقاً للمادة (٧) من أحكام النظام الداخلي التي تجيز عقد جلسة إستثنائية للمجلس المركزي بطلب من نصف أعضائه، ولتحقق النصاب في ذلك، تم عقد جلسة إستثنائية للمجلس، وذلك في الساعة العاشرة من صباح يوم الاحد الموافق ٨ / ٨ / ٢٠١٠ وتم مناقشة جدول الأعمال واتخاذ الآتي :

- ١ - بيان تقصير الامين العام السابق لعدم قيامه بالواجبات والمسؤوليات المناطة به وتعطيله أعمال ونشاطات المؤتمر التأسيسي وتحويله الى مؤسسة شخصية لم تقم بأي نشاط يذكر يوازي التمويل الذي تم استلامه مباشرة من قبله .
- ٢ - حفاظاً على تماسك المؤتمر وعدم تفتيته، على الرغم من صلاحية هذا المجلس طبقاً لاحكام المادة (٨) التي تجيز انتخاب الامين العام ونائبه بالاكثرية (النصف + ١)، إلا أن أعضاء المجلس المركزي واستناداً إلى محضر الجلسة الأولى لإجتماع المجلس المركزي بتاريخ ٤ / ٦ / ٢٠٠٥ تقرر انتخاب سكرتير للمجلس المركزي لمدة أقصاها ستة أشهر يتولى خلالها القيام بمهام الامين العام والإعداد بتوجيه دعوة لعقد إجتماع المجلس المركزي بكامل أعضائه وفق النظام الداخلي

وتم لهذا الغرض انتخاب عضو الامانة العامة الشيخ علي عبدالله الحمد رئيس مكتب العشائر . ختاماً نوجه شكرنا وتقديرنا لكل من:

١- القوى الوطنية وفي مقدمتها القوى والأحزاب التي شاركت في تأسيس المؤتمر، وأبدت بشجاعة وفي وقت مبكر تحفظاتها على سلوكيات الامانة العامة، وفي مقدمتهم آية الله العظمى السيد أحمد الحسيني البغدادي، والشيخ محمد الالوسي، وحزب الإصلاح الديمقراطي .

٢ - جميع الدول الشقيقة والصديقة الداعمة لهذا المشروع والتي لم تتخل عن الشعب العراقي في محنته، ويمكن لتلك القوى التنسيق مع سكرتارية المجلس الجديدة المنتخبة لحين انعقاد إجتماع المجلس المركزي القادم انشاءالله.

الحركة الوطنية الموحدة	التحالف الوطني لعشائر العراق	التجمع الوطني المستقل
الدكتور عبدالرزاق الهيتي	الشيخ عصام أبو هلاله	د. خالد المعيني
المجلس الأعلى لعشائر العراق	حركة الاستقلال العراقي الوطني	حركة الوحدويين الأحرار
الشيخ علي عبدالله الحمد	الأستاذ زهير الدباغ	الأستاذ معجل الجنابي
اتحاد الطلبة والشباب	اتحاد المرأة العراقية	الحركة الوطنية الموحدة
الأستاذ عمار حسن	السيدة عواطف الاسدي	الحاج نايف اسماعيل الناييف المحمدي»

وبعد مرور ستة اشهر اصدر المنشقون - اعلاه - بياناً ثانياً وفيما يلي نصه :

«وقائع وصور انعقاد المجلس المركزي للمؤتمر التأسيسي في بغداد العروبة بتاريخ السبت الموافق ٥ شباط ٢٠١١ . تم بعون الله وبهمة الغيارى والشرفاء، وبعد أكثر من خمس سنوات من آخر مجلس مركزي في بغداد عقد المجلس المركزي الثالث للمؤتمر التأسيسي بكل نجاح وبحضور نوعي تجاوز الأعضاء المؤسسين في المؤتمر التأسيسي الواردة أحزابهم وقواهم أدناه والتي بلغ عددها أكثر من أربعة عشر قوة وهيئة وحزب إضافة إلى الشخصيات الوطنية ، إن انعقاد هذا المجلس في بغداد وفي مثل هذه الظروف بعد تصحيح مسار المؤتمر وتأكيد هويته العربية وفي هذا التوقيت يشكل انتقالاً نوعية للحركة الوطنية العراقية وخطوة إلى الأمام ومغادرة حالة التخدير والتراخي التي كانت سمة المرحلة السابقة.

وقد ناقش الحضور واقع العراق وتداعيات الاحتلال والسبل الكفيلة لمواجهة مخططاته الرامية إلى تقسيم العراق وتم تأكيد ثوابت المؤتمر التأسيسي القائمة على استقلال العراق ووحدته أرضاً وشعباً والحفاظ على هويته العربية والإسلامية كما ساهمت الشخصيات الوطنية المعروفة ميدانياً كالأخ عدي الزيدي الأمين العام للحركة الشعبية لإنقاذ العراق وكذلك الأخ السيد هاشم الهاشمي مدير مركز بيارق للدراسات في بغداد وممثل الشيخ عوض العبدان رئيس حركة تحرير الجنوب وشخصيات أخرى كثيرة طالبت بتفعيل عمل الحركة الوطنية العراقية ميدانياً وتم الاتفاق على تنظيم مسيرات ومظاهرات مشتركة ضد الاحتلال وحكوماته الفاسدة في بغداد مع التركيز على معانات الشعب العراقي بالدرجة الأولى .-

- كما استنكر أعضاء الأمانة العامة للمؤتمر التأسيسي بشدة ظهور بعض المنتفعين و المتاجرين والمتسكعين باسم المؤتمر على شاشة الجزيرة والتحدث باسم المؤتمر التأسيسي من قم وطهران، رغم تجميدهم من أعمال الأمانة العامة وتهريبهم من حضور المجلس المركزي خوفاً من المساءلة وهم حالياً يخضعون للتحقيق من قبل لجنة مشكلة للتدقيق في مصير أموال المؤتمر التأسيسي واستغلالها لبناء مشاريعهم وجامعاتهم الخاصة وكذلك التطبيع مع حكومة المالكي، وناقش أعضاء الأمانة العامة مقترحاً في إمكانية تقديم دعوى قضائية بتهمة الاختلاس والتزوير للحد من استهتار مثل هذه الشخصيات الكارتونية والتي لا تمثل الانفسها.

ندرج في أدناه القوى الرئيسية في المؤتمر التأسيسي المشاركة في المجلس المركزي الثالث المنعقد ببغداد في ٥ شباط ٢٠١١ وكذلك القوى والشخصيات الوطنية المشاركة كضيوف شرف في المؤتمر:

- ١ - حزب الإصلاح الديمقراطي.
- ٢ - حركة الوحدويون الأحرار (لم يتم حضورهم بسبب عدم تمكننا من الاتصال بالأخ معجل الجنابي لكون جواله مغلق)
- ٣ - المجلس الأعلى لشيوخ العشائر .
- ٤ - التجمع الوطني المستقل .
- ٥ - الحركة الوطنية الموحدة .
- ٦ - حركة الاستقلال الوطني العراقي .
- ٧ - اتحاد الطلبة والشباب .
- ٨ - إتحاد المرأة العراقية .
- ٩ - الجبهة الشعبية لإنقاذ العراق .
- ١٠ - حركة تحرير الجنوب .
- ١١ - الحركة الشعبية لإنقاذ العراق .
- ١٢ - مركز بيارق للدراسات الإستراتيجية .
- ١٣ - منظمة طلبة وشباب العراق الحر .
- ١٤ - شخصيات وطنية مناهضة للاحتلال من محافظات واسط والأنبار وصلاح الدين والناصرية والديوانية والبصرة والعمارة والموصل والسماعة وكربلاء وبغداد وكركوك والنجف ، وقد تم الاتفاق مع البعض منهم على فتح مكاتب للمؤتمر التأسيسي في تلك المحافظات وعلى نفقتهم الخاصة ، وسوف تكون كل محافظة ممثلة بالأمانة العامة والمجلس المركزي وحسب النسب التي سوف يتفق عليها لاحقاً ويتم تثبيتها في النظام الداخلي لتحديد آليات عمل التعبئة الجماهيرية .

وأدناه الفعاليات التي أنجزت في جدول أعمال المجلس المركزي الثالث المنعقد في بغداد :

- ١ - افتتاح المؤتمر بكلمة الترحيب بالضيوف وأعضاء المجلس المركزي .
- ٢ - كلمة الأستاذ عدي الزيدي ، رئيس الحركة الشعبية لإنقاذ العراق .
- ٣ - كلمة الدكتور عبد الرزاق الهيبي عن الحركة الوطنية الموحدة .
- ٤ - كلمة الأستاذ حمادي أمين عام حزب الإصلاح .

- ٥ - كلمة الشيخ الدكتور صلاح العزي عن المجلس الأعلى لشيوخ العراق .
- ٦ - كلمة رئيس الجلسة الشيخ علي الحمد .
- ٧ - كلمات ومدخلات لبعض أعضاء المجلس المركزي ، وقد أجاب عنها رئيس الجلسة .
- ٨ - تم إعداد وقراءة البيان الختامي من قبل الدكتور عبد الرزاق الهيتي وصادق عليه المجلس المركزي بالإجماع.
- ٩ - تم تحديد موعد قادم لاجتماع المجلس المركزي لإقرار النظام الداخلي وأجراء الانتخابات للمكاتب السياسية والإعلامية والعلاقات الخارجية .
- ١٠ - تقرر فتح حوارات جادة ومثمرة مع القوى الوطنية العراقية الفاعلة داخل العراق والتنسيق معها لعقد مؤتمر مشترك.
- ١١ - تفعيل الموقع الالكتروني للمؤتمر التأسيسي العراقي الوطني لتغطية نشاطات أطراف المؤتمر .» .
- (٦) وفي مايلي نصه :

بسمه تعالى

السيد الامين العام للمؤتمر التأسيسي العراقي الوطني المحترم

السادة اعضاء الامانة العامة المحترمون

السادة اعضاء المؤتمر المحترمون

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

بعد التجربة الجهادية التي خاضها المؤتمر التأسيسي العراقي الوطني من اجل بلورة مشروع وطني اسلامي عراقي بغية تحرير بلاد الرافدين الاشم من نير الاحتلال الاميركي عبر كل القوى الوطنية والإسلامية الشريفة أفرزت مسيرة هذا المؤتمر خللاً واضحاً في بعض الادعاءات، وتبلورت بعض الملاحظات، التي حاولنا تجاوزها دون جدوى، لذا ابلغكم إعلان إنسحابي الكامل من مؤتمركم الموقر مع إحترامي الكبير لكل الجهود النظيفة التي بذلتوها، واتمنى لكم التوفيق والسداد في كل ما ستبذلونه - لاحقاً - على أمل خلاص هذا الوطن المستباح، والسلام عليكم، وعلى كافة اخواننا المؤمنين الصابرين الصامدين ورحمة الله وبركاته.

أحمد الحسني البغدادي

٤ جمادى الاول ١٤٢٦

وفي مايلي رد الامانة العامة على هذا الانسحاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الاخ العامل والفقير المجاهد آية الله السيد احمد الحسني البغدادي حفظه الله ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اعتزازاً بدوركم الريادي البارز في الحركة الوطنية العراقية، وفي مواجهة مخطط الهيمنة والاحتلال، إضافة الى دوركم الفقهي المميز في «الحوزة العلمية» الشريفة المجاهدة والواعية، فإن الامانة العامة للمؤتمر التأسيسي تؤكد على بقاء شخصكم الشريف في الامانة العامة، وفي اعمال المؤتمر التأسيسي، من خلال بقاء ممثلكم فيها، مع تفرغكم الكامل للعمل الحوزوي الجهادي الواعي في مدينة النجف الاشرف المجاهدة، معقل الأبطال، ومنطلق الثورات عبر تاريخها العظيم، وهي تستلهم الايمان والشرف والمجد من إمام الجهاد والهدى والبطولة، خليفة رسول الله، وابن عمه علي بن ابي طالب عليه السلام، أملين ان يجد هذا الاعتزاز الكبير موقعه المميز في قلبكم الكريم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الامانة العامة للمؤتمر التأسيسي العراقي الوطني-

- توضيح

سماحة السيد المجاهد - دام ظله - لا زال مصراً على الانسحاب من مؤتمركم الموقر، ويدعو لكم بالنصر والسداد في مواصلة جهادكم في طرد المحتلين الغزاة من العراق، والله يحفظكم ويرعاكم بدعاء.

مسؤول العلاقات العامة

حامد القرشي

تنبيه:

ومن الضرورة بمكان أن أسوق واقعة كان لها فعل ملموس في كشف «برغماتية» الخالصي: كان ضيفاً عليّ، وفي منتصف الليل، كتب هذا الردّ الوارد أعلاه على استقالتني من المؤتمر، وطلب مني نشره في جريدتنا: (براعة)، وقد أمتثلت لذلك، بيدّ أنني اكشف لك سرّاً - قبل كتابته هذا الرد سألني: لماذا لا حماية عندك كـ«حصانة» لك من أي إستهداف لتصفيتك جسدياً.. فأجبت: هذا الأمر يتطلب دعماً مادياً، وأنا لا أقدر على ذلك.. قال أنا حاضر أن أعين لك مخصصات شهرية قدرها «٣٠٠٠» دولار قلت له: من أين لك هذا!.. قال: من أحد «أقربائي» في أوروبا، قلت له: طيب اتفقتنا على ذلك، وبالفعل ألفت الحماية، وجاء الشهر الاول ولم يحول لي المخصصات؟!.. بسبب عدم إمتثالي

لرغبته في العودة مرةً ثانيةً الى الامانة العامة وأعمال المؤتمر التأسيسي، يعني أراد أن يشتريني بثمن بخس، ونسى تأكيدات عليّ بضرورة تكوين الحماية الأمنية. من هنا انكشف لي أكثر أنه كذوب، وأنه مصاب بما يسمى في الطب النفسي بمرض : «الكاذب الهستيري» LOMAMLEHYSTERIQUE، ومن مظاهر هذا المرض النفسي أن أبا زينب لا يكف عن الحديث عن عشرات المؤامرات الكثيرة التي حيكت ضد شقيقه وأبيه وجده !..

(٧) بحار الأنوار، ج ٢١، ص: ١٢٩ .